

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[178] وفي الآية التّالية يدور الكلام على ثبوت خيانة الشاهدين إذا شهدا بغير الحقّ، كما جاء في سبب نزول الآية، فالحكم في مثل هذه الحالة – أي عند الإِطلاع على أن الشاهدين قد ارتكبا إِثمّ العدوان على الحقّ واضاعته – هو أن تستعوضوا عنهما باثنين آخرين ممن ظلمهما الشاهدان الأولان (أي ورثة الميت) فيشهدان لإحقاق حقهما: (فإن عثر على أنّهما استحقا إِثمّا فآخراهما يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان). يذهب العلّامة الطبرسي في "مجمع البيان" إلى أن هذه الآية تعتبر من حيث المعنى والإِعراب من أعقد الآيات وأصعبها، ولكن بالإِلتفات إلى نقطتين نجد أنّها ليست بتلك الصعوبة والتعقيد. فالنقطة الأولى: هي أن معنى "استحق" هنا بقرينة كلمة "إِثم" هو "ثمّ" العدوان على حق الآخرين. والنقطة الثانية: هي أن "الأوليان" تعني هنا "الأولان" أي الشاهدان اللذان كانا عليهما أن يشهدا أو لا ولكنّهما انحرفا عن طريق الحقّ. وعليه يكون المعنى: إذا ثبت أن الشاهدين الأولين ارتكبا مخالفة، فيقوم مقامهما اثنان آخران ممن وقع عليهم ظلم الشاهدين الأولين(1). ثمّ يبيّن ما ينبغي على هذين الشاهدين أن يفعلاه (فيقسمان بأنّ لشهادتنا أحقّ من شهادتهما وما اعتدينا إِثمّا إذاً لمن الظالمين). لمّا كان أولياء الميت على علم بالأموال والأمتعة التي أخذها معه عند سفره أو التي يملكها عموماً، فيمكن أن يشهدوا على أن الشاهدين الأولين قد خانا وظلما، وتكون هذه الشهادة حسية مبنية على القرائن، لا حدسية. والآية الأخيرة، في الحقيقة، بيان لحكمة الأحكام التي جاءت في الآيات _____ 1 – على هذا يكون إعراب "آخراهما" مبتدأ، وجملة "يقومان مقامهما" خبر، و"أوليان" فاعل "استحقا" و"من الذين" أي من ورثة الميت الذين وقع عليهم الظلم، والجار والمجرور صفة لـ"آخراهما" "تأمل بدقّة".